مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية المجلد(8)، العدد (1)، (جوان -2023)، ص 127-140
ISSN: 2602-5566 EISSN: 2716-8999

الحمامات الرومانية القديمة بين النظام المعماري والوظيفة

Ancient Roman baths between architectural order and function

توفيق زعبار [1] *

[1] مخبر تاريخ تراث ومجتمع(HIPASO) جامعة عبد الحميد مهري – قسنطينة2 -،
toufik.zaabar@univ-constantine2.dz

تاريخ الإرسال: 2022/04/16 **تاريخ القبول:2023/04/18**

ملخص:

خَلَّفَت حَضارَة الرُّومان إرْثًا عُمْرانيًّا زخمًا، طَبَّقُوا فِيه تِقْنيَّات تَجذِب الباحث فِي طَياتِها، وَهُو مَا تُظْهِره جليًّا عِمارة الحَمَّامات، اَلتِي تُعَد كمنْشَأة شَملَت على أَنظِمة غَايَة فِي الدِّقَّة والتَّنْظيم، طَبقَت فِيهَا تِقْنيَّات مُتَعددَة أبْرزهَا نِظَام التَّسْخين والتَّناظر، وَهذَا مَا برز جليًّا فِي اَلمُدن القديمة اَلتِي بِقتْ صَامِدة فِي شَمَال إفْريقيَا، كمَا أَنَّه إضافة لِاحْتوائهَا على مُخْتَلِف المنْشآتِ وَالتِي تَميزَت حسب نوْعهَا ووظيفتهَا، لَكِن مَا شدَّ اِنْتباهي هُو عِمارة الحمَّامات بِنوْعيْهَا العامَّة أو الخاصَّة، ومحاولة مِنَّا لِإظْهَار أهمِّ فضاءاتهَا ونشاطهَا، مِن الجانبيْنِ الأثَريِّ والْمعْماريِّ ثُمَّ التَّطَرُّق إلى الجانب الوظيفيّ وأهمّيَّة التَّوْزيع الفضائيِّ لِمخْتَلف الغُرف، لِنوضِّح الاهْتمام بِالْجانب الصِحِّيِّ بِالْمرور على ثَلَاث مَراحِل أو أَكثَر كُلُّ مَرْحَلة لَهَا قَاعتُها الخاصَّة، ومنْه إعطَاء مَفهُوم أَكثَر دِقَّة عن هَذِه المنْشأة المهمَّة، وإبْرَاز الفَن المعْماريِّ الدقيق فِي مِثْل هَذِه المنْشآتِ.

كلمات مفتاحية: الحمَّامات؛ الحمَّامات العامَّة؛ الحمَّامات الخاصَّة؛ نِظَام التَّسْخين.

Abstract:

The Roman civilization left a great urban heritage and applied construction techniques that attracted researchers, this can be seen in the architecture of the ancient baths, which included precise building systems that applied a variety of techniques, notably heating and symmetry, as is evident in the ancient Roman cities of North Africa, in addition to the many facilities that varied by type and function , but what caught my attention was the construction of public or private baths, and tried to show their main spaces and activities from an archaeological and architectural point , and then dealt with the functional aspects and the importance of the spatial distribution of the different spaces, through three phases (hot, warm, cold) or more to indicate interest in health, each stage has its own hall to convey an accurate concept of this important facility and to highlight the exquisite architecture of these facilities.

Keywords: Architecture; bathrooms; public baths; private bathrooms; hypocaust.

* المؤلف المرسل.

1- مقدمة:

شَهدَت الحضارة الرُّومانيَّة تطوُّرًا كبيرًا فِي العمْران فشيَّدتْ مَرافِق ذات هَيكلَة عُمْرانيَّة رَاقِية وَمِن أهمِّ المنْشآتِ الرُّومانيَّة هِي الحمَّامات، اَلتِي عَرفَت عِمارتهَا إبْداعًا لَم يَشهَد لَه مثيلا فِي تِلْك الفتْرة، فَهِي المكَان الوحِيد اَلذِي منح لِلشَّعْب الرُّومانيِّ اَلعدِيد مِن الخدْمات، وَالتِي تُعَد مَرْكَبا لِلْعدِيد مِن الوظائف، فلَا تخلو مَدِينَة رُومانيَّة مِن مُنشَأَة مَائِية، بل وَتَعددَت فِي المدينة الواحدة، كمَا هُو اَلْحال بِمدينة تِيمْقَاد، تَازُولت (لَمْباز)، شِرْشَال (قَيصرِية) وَجَميلَة (كويكول)...

وقد ركَّزْنا بَحثَنا على تَوزِيع الفضاءات والتَّخْطيط المعْماريِّ ثُمَّ الوظيفة لِنطْرح الإشْكاليَّة كالْآتي: فِيمَا تَتَمثَّل فضاءَات الحمَّامات الرُّومانيَّة القديمة، ومَا هِي وظيفتهَا؟

سنعالج فرْضيَّتيْنِ فِي هذَا البحْث؛ اَلأُولى تَكمُن فِي أنوَاع الحمَّامات الرُّومانيَّة القديمة، والثَّانية تَكمُن فِي أهمِّ الفضاءات اَلتِي تَكُون فِي الحمَّامات، وَيهدِف البحْث إلى إبراز تَطوُّر العمارة الرُّومانيَّة وَدقتِها مِن خِلَال مُخْتَلِف تِقْنيَّات البنَاء، وَذلِك مِن خِلَال عِمارة الحمَّامات، ومنْه التَّوَصُّل إلى مُخْتَلِف أنوَاع الحمَّامات ثُمَّ إِظهَار أهمِّ الفضاءات اَلتِي يحْتويهَا الحمَّام الرُّومانيُّ القدِيم.

أَمَّا المناهج المتَّبعة فاعْتمدنَا على مَنْهَجين أساسيَّيْنِ التَّاريخيِّ والْوصْفيِّ، كمَا سنعالج بحثَنَا فِي عِدَّة نِقَاط رَئِيسية: تَطَرقنَا فِي اَلأُولى إلى تَارِيخ عمارَة الحمَّامات ثُمَّ مفْهومهَا، وأنْوَاع الحمَّامات أهمُّهَا الخاصَّة والْعامَّة، وبعْدهَا تناولْنَا البرْنامج اليوْمِي لِلْحمَّامات ومؤْقعِهَا فِي المدينة، وبعْد ذَلِك فَصَّلْنا الأجْزاء الرَّئِيسيَّة لِلْحمَّام وهياكِلِه، وَأهَم العناصر الهيدْروليكيَّة، والْحراريَّة، وَفِي اَلأخِير الزَّخْرفة والتَّزْيين فِي الحمَّامات.

2- تاريخ عمارة الحمامات الرومانية:

يَعُود تَارِيخ المنْشآتِ الخاصَّة بِالاسْتحْمام فِي الفتْرة الكلاسيكيَّة عِنْد الإغْريق فِي القرْن 04 ق.م، وَالتِي اِرْتبَطتْ بِمنْشَآتِ الألْعاب الرِّياضيَّة الجمبازيَّة، أَيْن كان لِلْحمَّام شَعبِية كَبِيرَة، فَيتِم فِيه الاغْتسال بَعْد القيَام بِتمارين بَدَنيَّة، وَبَعدهَا عَمِد الرُّومان على تَقلِيد الإغْريق فِي نَمُوذَج الحمَّامات، وطوَّروه مِن حَيْث التَّخْطيط بِإضافة التِّقْنيَّات الرُّومانيَّة. (Bahloul, 2016, p. 13) أَيْن تُقدِّم هَذِه المنْشأة الرَّفاهية والتَّواصل والتَّسْلية، وَالتِي نَجدُها فِي كُلِّ مَدِينَة مِن مُدُن المقاطعات الرُّومانيَّة. (Matthew, 2002, p. 70) وقد ظَهرَت أُولَى أَشكَال الحمَّامات الرُّومانيَّة فِي مُقَاطعَة كمْبانْيَا، التِي تُعتَبَر أشدَّ المناطق تأَثُّرًا بِالْحضارة الإغْريقيَّة، وَالتِي تَظهَر فِي مَدِينَة بُومْبَاي لِتتطَوَّر بِالتَّدْريج. (محفل، 2016/2015، الصفحات 131-132)

ولمتابعة تَطورِها وجب الإشارة إلى أَقدَم مَراحِل تَأسِيس مَدِينَة بُومْبَاي، اَلتِي حافظتْ على أُولَى الحمَّامات والْمسمات بسْتابي Stabies، اَلتِي بُنيَت خِلَال القرْن 02 ق.م. (Pierre, 2002, p. 388) وكانتْ هُنَاك حواليْ 170 مُشَاة حمَّامَات خِلَال القرْن 01 ق . م ، وَبِمُرور الوقْتِ وَحتَّى القرْن 04 م

أَصبَح هُنَاك أَكثَر مِن 1000 حَمَّام فِي الحضارة الرُّومانيَّة، وَهذَا حسب بِلين اَلكبِير Pline اَلذِي اعتمَد على مُحَاولَة حِسابِهَا. (Carcopino, 1941, p. 277)

أَنشَأت أُولَى الحمَّامات الإمْبراطوريَّة فِي النِّصْف الثَّاني مِن القرْن 01 ق.م، عُرفَت بِحمَّامات Agrippa ثُمَّ انْتشَرتْ بعدَهَا. (Pierre, 2002, p. 397)

تُعَد هَذِه المنْشآت دليلا على قُوَّة وتطوُّر الحضارة الرُّومانيَّة، فَهِي تَعكِس الحيَاة اليوْميَّة وتطوُّر العمارة، فبفضاءاتِهَا المخْتلفة تَكُون مَفتُوحة لِكلِّ أَفرَاد الشَّعْب الرُّومانيِّ، وَالتِي اِنْتشَرتْ فِي سَائِر الإمْبراطوريَّة بِفَضل الأباطرة وَطبقَة الأغْنياء. (Bahloul, 2016, p. 13)

1-2- مفهوم الحمامات:

تُعَد مِن أهمِّ المنْشآتِ المائيَّة اَلتِي تَشغَل مكانًا خاصًّا فِي الحيَاة اليوْميَّة، وَمِن الضَّروريَّات العامَّة لِلشَّعْب الرُّومانيِّ، كمَا أَنهَا مَكَان مُقدَّس لِارْتباطهَا بِآلهة الطِّبِّ Esculape، وَالتِي تَسمَح بِالاغْتسال والْحفاظ على الصِّحَّة (René, 1998, p. 100)، وليْس الغرض مِنهَا الاسْتحْمام فقط بل كَذلِك القيَام بِمجْموعة مِن الطُّقوس، فَهِي مُركَّب لِمجْموعة مِن الوظائف، يَتِم فِيهَا القيَام بِالتَّمارين البدنيَّة، الاغْتسال، القراءة، الاجْتماعات، الأكْل، المعاملات التِّجاريَّة ومخْتَلف اَلعُروض، كُلُّ هَذِه الأنْشطة تَتِم فِي فضاءَات خَاصَّة وبالتَّالي تَكُون وَاسِعة، وَيتِم الدُّخول إِليْهَا بِالْمجَّان وَفِي بَعْض الحالات بِدَفع بَعْض الرُّسوم (Gregory, 2004, p. 108). وتعْتَبر مِن أَكثَر المنْشآتِ دَلالَة على إِبْداعات الحضارة الرُّومانيَّة، فَهِي الصُّورة الحقيقيَّة لِعاداتهم وَحبهِم لِلْحيَاة الصِّحِّيَّة والرِّياضيَّة والتَّرْفيهيَّة، فلم تَكُن تخلو مِنهَا مَدِينَة كَبِيرَة ولَا صَغِيرَة، تُقدِّم لَهُم التَّرْفيه بِالْمعْنى الكامل والْأفْضل (Carcopino, 1941, p. 277).

بِاعْتبار الحمَّامات مَرْكَزا ترْفِيهِيًّا فِي الحضارة الرُّومانيَّة، فَهِي هِبة مِن الحُكام والْأباطرة لِلشَّعْب بُغيَة الاسْتمالة، لِذَلك تمَّ فَتحُها لِكافَّة أَفرَاد الشَّعْب. (سلمان، 2016/2015، صفحة 289)، لِتعْتَبر كمرْكز لِلْحيَاة الرُّومانيَّة، لِكوْنهَا مِن أَكثَر المعالم تصْويرًا لِنَمط الحيَاة وَخصُوصا فِي وَقْت الفرَاغ وَالذِي تَمنَح فِيه العناية بِالْجِسْم والنَّفْس. (Lenoir, 1995, p. 62)

2-2- التعريف بالمصطلحات:

نجد مُصطلَح Thermae يَرجِع فِي الواقع إِلى حَقِيقَة اِختِلاف الفترات، المناطق، الشَّبكات الحضريَّة، الوظيفة، وَكذَلِك لِلتَّخْطيط المعْماريِّ لِلْحمَّامات فِي العالم الرُّومانيِّ، وَهذَا يَعُود إِلى تَعدُّد واخْتلاف المصْطلحات القديمة، والْكلمة الأصْليَّة الوحيدة فِي اللَّاتينيَّة اَلتِي تَصِف الحمَّام أو المرْحاض هِي: Lavatrina / lavacrum / lavatio

وأطْلق عليْهَا اِسْم أَكثَر دَلالَة وَهُو : Lavacra وتبْقى المصْطلحات الأكْثر توْظيفًا هِي المشْتقَّة مِن الإغْريقيَّة كمصْطلَح Balineae وَجَمعهَا Balineum وَالتِي تَدُل على حمَّامَات عُمومِيَّة أو خَاصَّة. (Pierre, 2002, p. 388) أُمَّا مُصطلَح Thermae فَهُو إِغْريقيٌّ ، وَيعنِي مَصدَر اَلْماء السَّاخن، ثُمَّ أَصبَح

المعْنى حَمَّام اَلْماء السَّاخن حَيْث تَنتَشِر الحرارة فِي أَنحَاء قاعات الاسْتحْمام، وَمِن المصْطلحات المتداولة قديمًا Balinea. (Rich, 1961, p. 639)

لِتأْتي لَفظَة Bains أيْ الحمَّامات بِجميع أنْشطتهَا، حَتَّى الرِّياضيَّة والثَّقافيَّة، وَالتِي تُقَام فِي فِنَاء وَاسِع يُصطلَح عليْه Palastre اَلذِي هُو عِبارة عن سَاحَة مُحَاطَة بِرواق، يَتِم فِيهَا القيَام بِأنْشِطة بَدَنيَّة قَبْل الذَّهَاب لِلاسْتحْمام كمَا أَطلَق مُصطلَح Balnéaire على مُنشَأَة الحمَّامات، وَهِي بِناية تَسمَح لِلنَّاس بِالاغْتسال فِي أَفضَل حَالَة صِحّية، ويصْطلَح عليْهَا فِي اللَّاتينيَّة بِلفْظة Balineum وَالتِي اشْتُقَتْ مِن الإغْريقيَّة(René, 1998, p. 100) .

وَمِن هَذِه المصْطلحات يَظْهَر الأصْل الذِي يَعُود لِلْفتْرة الكلاسيكيَّة اَلتِي تُركِّز على اللِّياقة البدنيَّة عِنْد الإغْريق، أَيْن كان الاسْتحْمام جُزْءًا مِن الطُّقوس الصِّحِّيَّة المرْتبطة بِالرِّياضات البدنيَّة الجمْبازيَّة وَدورِها الفعَّال فِي مجالَات مُختلفَة أهمُّهَا الصِّحَّة، التَّعْليم والتَّرْفيه. (Jarzombek & Prakash, 2011, p. 206)

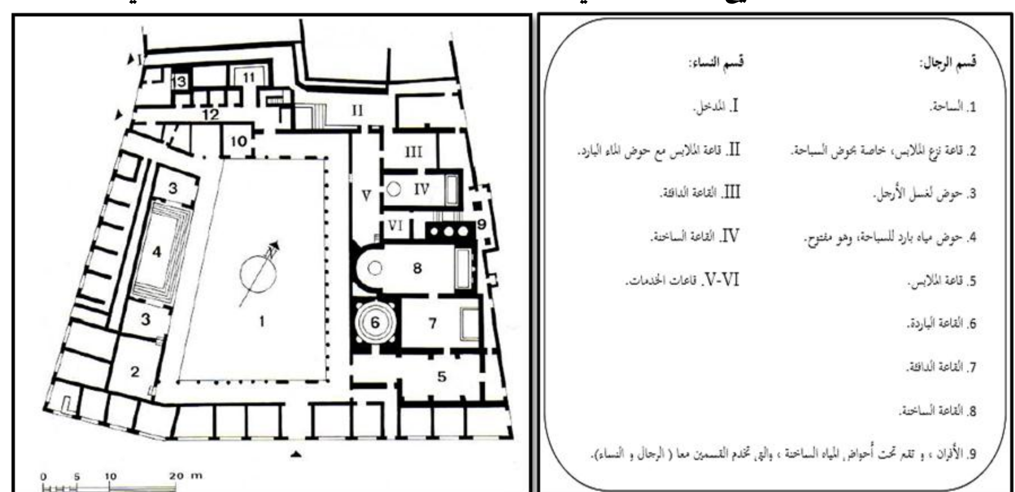
3- أنواع الحمامات الرومانية:

3-1- الحمامات الخاصة Balneum: يُصطلَح عليْهَا كَذلِك بِمصْطلَح Balinea، فَفِي الأوَّل كان الرُّومان يسْتحمُّون فِي مَكَان ضَيِّق بِالْقرْب مِن المطْبخ Lavatrina لِتسْهِيل تَمرِير الميَاه السَّاخنة. (Cagnat & Chapot, 1916, p. 209) ثُمَّ أَصبَحت الحمَّامات الخاصَّة مَوجُودة فِي مَنازِل الطَّبَقة المتْرفة، وقد خَصَّصُوا لَهَا مَكَانا فِي اَلمنْزِل، مع مُرُور الوقْتِ وبزيادة الثَّروات الخاصَّة، خُصصَت لَهَا أَماكِن وَاسِعة فِي المنازل، كمَا تَوفرَت على فضاءَات مِثْل الحمَّامات العموميَّة، فَنجِد القاعة الباردة والدَّافئة والسَّاخنة، مع نِظَام التَّسْخين اَلسفْلِي، وأصْبح الحمَّام مِن المرافق اللَّازمة فِي اَلمنْزِل وَالذِي يُوفِّر الصِّحَّة والنَّظافة الجسْميَّة بِالاغْتسال، وَبذَلِك نال أَهَميَّة كَبِيرَة فِي مُخْتَلِف طَبَقات المجْتمع وَخَاصَّة الطَّبَقة المتْرفة. (Thébert, 2003, p. 60)

3-2- الحمامات العامة Thermes: يُصطلَح عليْهَا Thermae، وَهِي مِن مُنشَأَة عُمومِيَّة مُرَكَّبة مِن عِدَّة فضاءَات مُختلفَة الوظائف وَتكُون وَاسِعة، والدُّخول إِليْهَا إمَّا بِالْمجَّان أو بِدَفع بَعْض الرُّسوم، وَهِي غالبًا ذات مُخطَّط مُتَناظِر، كمَا وُجدَت حمَّامَات عُمومِيَّة مُرَكَّبة مِن قِسْميْنِ مُنْفصليْنِ لِلرِّجَال والْآخر لِلنِّسَاء؛ ومنْه ظَهرَت حمَّامَات الرِّجَال وحمَّامات النِّسَاء. (Cagnat & Chapot, 1916, p. 209)

مِن خِلَال نُصُوص تَحدَّث عَنهَا فِيتْروفْيوس Vitruvius حَوْل عِمارة الحمَّامات المنْفصلة حسب الجنْس، نَجِد قِسْميْنِ مُنْفصليْنِ لَكِن بِفضاء خِدْمَات مُشتَرَك وأبْرز مِثَال هُو حمَّامَات سَتابِي Stabies، بِبومْباي وَالتِي تَعُود إِلى القرْن 02 ق.م، (Bahloul, 2016, p. 13) وَهُو مَا يُوَضحه اَلمُخطط التَّالي: (مِن رَقْم 01 - 11 قِسْم الرِّجَال، ومن **I - IV** خاص بِالنِّساء) .

مخطط 01: توزيع الفضاءات في الحمامات العامة Stabie ستابيا ببومباي.



المصدر:Adam (J. P), 1995, p295

3-3- الحمامات الشتوية والصيفية Thermes d'hiver et d'été:

يُصطلَح على الحمَّامات الشَّتْويَّة Thermae Hiemales، أمَّا الصَّيْفيَّة Thermae Aestivales وقد عرفهَا Palladius فِي كِتابه: (L'économie rurale. livre 1 p 38)حَيْث ذكر فِيه الاخْتلافات اَلتِي تَظهَر فِي اَلغُرف بِقوْله: "عِنْدمَا يَكُون اِتّجاه الحمَّام نَحْو الشَّمَال، فالْقاعات الصَّيْفيَّة تتجِه نَحْو الشَّمَال والْقاعات الشَّتْويَّة تَتجِه نَحْو الظَّهيرة (الجنوب).

أما Libanius فِي كِتابه (Orationes , XI , p 220) وَصَفَ الحمَّامات واظْهرَ نوْعيْن مُخْتلفيْن الأوَّلُ خاصٌّ بِفَصل الشِّتَاء والثَّاني بِفَصل الصَّيْف. (Bahloul, 2016, p. 113)

3-4- الحمامات الجمنازية:Thermes de Gymnase

بِاللَّاتينيَّة Gymnasium أيْ سَاحَة الألْعاب الرِّياضيَّة، هِي عِبارة عن مُركَّب وتعْتَبر مِن المنْشآتِ الصِّحِّيَّة، يَتِم فِيهَا الاغْتسال بَعْد تَمارِين بَدَنيَّة، وَهُو فَضَاء لِممارسة الأنْشطة الرِّياضيَّة، وَالتِي يَعُود أَصلُها إلى قاعات الألْعاب الرِّياضيَّة الإغْريقيَّة Gymnasia. (Fletcher, 1894, p. 141)

3-5- الحمامات المعدنية :Aquae Thermae

يُطْلَق عَلَيْهَا مُصْطَلَحُ اَلْمَحَطَّاتِ اَلْمَعْدِنِيَّةِ Stations Thermales، وَهِيَ مُنْشَآتٌ بُنِيَتْ حَوْلَ مَصَادِرِ اَلْمِيَاهِ اَلْحَارَّةِ، حَيْثُ يَتِمُّ جَلْبُ اَلْمِيَاهِ اَلْحَارَّةِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ بِوَاسِطَةِ قَنَاةٍ رَصَاصِيَّةٍ إِلَى اَلْخَزَّانَاتِ وَمِنْهُ إِلَى أَحْوَاضِ اَلْغُرَفِ إِلَى جَانِبِها نَجِدُ أَنْوَاعا أُخْرَى كَحَمَّامَاتِ اَلْجَيْشِ وَاَلَّتِي تَكُونُ فِي اَلْمُعَسْكَرَاتِ، وَكَذَلِكَ حَمَّامَاتُ اَلْخَدَمِ(Adam, 1995, p. 299) .

4- البرنامج اليومي للحمامات:

يَتِمّ اَلذَّهَابُ إِلَى اَلْحَمَّامِ فِي اَلْغَالِبِ خِلَالَ فَتْرَةِ مَا بَعْدَ اَلظُّهْرِ (اَلْفَتْرَة اَلْمَسَائِيَّة) أَيْ بَعْدَ عَمَلِ اَلصَّبَاحِ، أَيْنَ يَتِمُّ تَقْدِيمُ مُخْتَلِفِ اَلْخِدْمَاتِ اَلصِّحِّيَّةِ، اَلتَّرْفِيهِيَّةَ، اَلتَّثْقِيفِيَّةَ وَذَلِكَ فِي فَضَاءَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَفِي كَثِيرٍ مِنْ اَلْأَوْقَاتِ يَتِمُّ فَصْلَ اَلرِّجَالِ عَنْ اَلنِّسَاءِ، فَتَأْتِي اَلنِّسَاءُ فِي اَلصَّبَاحِ وَالرِّجَالُ فِي اَلْمَسَاءِ، وَإِمَّا تَكُونُ مُنْفَصِلَة بِقِسْمَيْنِ، قِسْمٌ لِلرِّجَالِ وَآخَرُ لِلنِّسَاءِ، مِثْلَ مَا هُوَ عَلَيْهِ حَمَّامُ سَتَابْيَا بِبُومْبَاي. وَكَانَتْ رُسُومُ اَلدُّخُولِ إِلَى اَلْحَمَّامِ فِي مُتَنَاوَلِ اَلْجَمِيعِ أَمَّا اَلْأَطْفَالُ فَيَدْخُلُونَ بِالْمَجَّانِ وَهَذَا فِي اَلْفَتَرَاتِ اَلْأُولَى لِتُصْبِح مَجَّانِيَّةً فِيمَا بَعْد(Carcopino, 1941, p. 277) .

أَمَّا عَمَلِيَّةُ الإشْراف على الحمَّامات فَهِي مِن مَهَام مَسؤُول الحيَاة الثَّقافيَّة والاجْتماعيَّة **Aedile**، فكَان يُرَاقِب مُنْشَآت التَّسْخين وعمليَّات التَّنْظيف والأَمْن، وَهُو المسْؤول عن رُسُوم الدُّخول. (Carcopino, 1941, p. 277) عِنْد دُخُول الحمَّام يَقُوم الزَّائر بتمارين رِياضِيَّة مُختلفَة، ثُمَّ يَستَحِم وبعْدهَا يَسترْخِي وَفِي اَلأخِير تَجمُّع. (Jarzombek & Prakash, 2011, p. 206)

وَبمَا أنَّ الاسْتحْمام كان طقْسًا يوْميًّا، حَيْث يَمُر الاغْتسال بِمراحل: فِي بَادِئ الأمْر يَتِم الدُّخول إلى قَاعَة حَارَّة لِلتَّعَرُّق، ثُمَّ بُعْدِها يَتِم الاسْتحْمام بِالْمَاء السَّاخن لإِزالة العرَق والأوْساخ ثُمَّ اَلمُرور إلى قَاعَة دَافِئة لِلاسْترْخاء، وَمِنهَا نَحْو القاعة الباردة لِشدِّ الجلْد والْعضلات وتقْويتهَا لِيَتم اَلمُرور إلى قَاعَة التَّدْليك والدُّهْن بِالزَّيْتِ. (عقون، 2008، الصفحات 267-268)

هَذِه الفضاءات المخْتلفة تَخضَع لِقواعد طِبِّية عِلاجِيَّة، وَفِي اَلأخِير فَإن هذَا المرْفق يَمنَح اَلفُرصة لِلسُّكَّان بِاللِّقاء اَليوْمِي، لِلْمحادثة والْمناقشة فِي الأعْمال العامَّة والْخاصَّة، وَذلِك فِي قاعات المحادثة أو فِي الفنَاء. (Cagnat & Chapot, 1916, p. 209)

5- موقع الحمامات في المدينة:

عِنْد دِراسة مُخططَات اَلمُدن القديمة، تَظْهَر لَنَا الحمَّامات بِأعْدَاد وأحْجَام مُختلفَة، وتتوَزَّع على نِطَاق النسِيج العمْرانيّ لِلْمدينة، كمَا تَشغَل موْضعًا مُمَيزا، يَكُون قريبًا مِن مَركَز النَّشَاط البشَرِيّ مِثْل الفروم (السَّاحة العامَّة) والطُّرق الرَّئيسيَّة وَتكون أيْضًا قَرِيبَة مِن مَداخِل المدينة. أوَّلا يَتِم اِختِيار اَلموْقِع الدَّافِئ، وتقابل اَلجِهة الجنوبيَّة الغرْبيَّة، لِإضاءة اَلغُرف الحارَّة والدَّافئة بِضَوء الشَّمْس، لِأنَّ الاسْتحْمام يَكُون فِي الفتْرة المسائيَّة .(فيتروفيوس، 2009، صفحة 155)

6- الأجزاء الرئيسية لمنشأة الحمامات:

1-6- المبنى الأساسي: وَهُو مُكوَّن على اَلعُموم مِن بَهْو مُزيَّن بِالْعناصر المعْماريَّة، ثُمَّ تَأتِي الفضاءات الأساسيَّة فِي الحمَّام، وَهِي: القاعة السَّاخنة Caldarium ، والْقاعة الدَّافئة أو الفاترة Tipidarium، والْقاعة الباردة Frigidarium، وَفِي الغالب نَجِد أَحوَاضا لِلسِّباحة، كمَا نَجِد قاعات أُخرَى مِثْل قَاعَة التَّعْريق وَقاعَة التَّدْليك ومَا يلْزمهَا مِن مُلحقَات أُخرَى مُخَصصَة لِهَذا الغرض (الاسْتحْمام). (الجواد، 2014، الصفحات 464-465)

2-6- الساحة :Palastre وَتكُون مُربَعَة الشَّكْل (كمَا تَأخُذ أَشكَالا أُخرَى) يُحيط بِهَا رِوَاق مُعمَّد، قَبْل الذَّهَاب لِلاسْتحْمام يَتِم فِيهَا القيَام بِأنْشِطة بَدَنيَّة، ومخْتَلف الرِّياضات والْمصارعة...، وَتكُون مُزَينَة بِالْأشْجار (حَدائِق) وكذا بالتَّماثيل.

3-6- الفضاء الخارجي: نَجِد فِيه قاعات المحاضرات وقاعَات الاسْتراحة (المحادثة)، كمَا تُوجَد خزَّانَات المِيَاه اَلتِي تُموِّن الحمَّام بِالْمَاء، وَكذَلِك مَحَلات وَغرَف خَاصَّة بِالْعبيد وعمَّال الحمَّام فِي هذَا اَلجُزء. وَفِي الغالب تُرفَع الحمَّامات فَوْق طَابَق سُفْلِي يَحوِي: أَفرَان التَّسْخين، أَروِقة وقاعَات أُخرَى لِخدْمة الحمَّام. (Fletcher، 1894، صفحة 141)

7- هياكل منشأة الحمامات:

1-7- القاعات: تَعَددهَا مِن مُميزَات الحمَّامات وتكوُّن بِوظائف مُختلفَة ، يَتِم مِن خِلالِهَا القيَام بِعدَّة عمليَّات مُتعاقبة تَخضَع لِقواعد صِحّية، (فيتروفيوس، 2009، صفحة 155) وَالتِي تَمثلَت فِي:

1-1-7- البهو :Vestibule هُو عِبارة عن رِوَاق يُستعْمَل كَممَر لِلدُّخول والْخروج، كمَا يُمْكِن اِحْتواؤه على مَقاعِد لِلانْتظار، يَأتِي مُبَاشرَة بَعْد المدْخل.

2-1-7- قاعة نزع الملابس: Déchabilloir وباللَّاتينيَّة Apodyterium نَجِد فِي هَذِه القاعة كُوَّات جِداريَّة لِوَضع الملابس والْأمْتعة الشَّخْصيَّة لِلْمسْتحمِّين، وَكذَلِك رُفُوف خَشَبيَّة أو مَبنِية يُصطَلَح عليْهَا بِاللَّاتينيَّة Armarium، وخزائن Luculi، كمَا يَتِم وَضْع الملابس أيْضًا فِي غُرفَة قَرِيبَة مِن مَكَان الاسْتحْمام Vestiaire.

3-1-7- القاعة الباردة :Frigidarium ويصْطَلح عليْهَا أيْضًا Cella Frigidaria وَهِي قَاعَة حَمَّام بَارِد أيْ لَا يَتِم تسْخينهَا ، (René, 1998, pp. 101-103) حَيْث تُزوَّد بِالْمَاء البارد ، والْفائدة مِنهَا تَقوِية الجلْد وَتنشِيط الذِّهْن والاسْترْخاء ، تَكُون مُزَودَة بِعناصر خَاصَّة بِالشَّبكة الهيدْروليكيَّة:

4-1-7- حوض السباحة :Pissine وَهُو حَوْض بَارِد، يَكُون كبير الحجْم يَسمَح بِدخول اَلعدِيد مِن الأشْخاص، ويصْطَلح عليْه بِاللَّاتينيَّة Natation Piscina أو Alveus، هَذِه القاعة الباردة كَانَت مُهِمَّة فِي الحمَّامات الرُّومانيَّة أَيْن كَانَت مَفتُوحة على السَّمَاء فِي رُومَا، أَمَّا فِي شَمَال إِفْريقيَا فكانتْ مُغلَقَة لِتجنُّب حَرارَة الشَّمْس(Cagnat & Chapot, 1916, pp. 223-224) .

5-1-7- القاعة الدافئة: Tipidarium يُصطَلَح عليْهَا كَذلِك بِاللَّاتينيَّة Cella Tipidaria، وَفِي الغالب لَا تَحوِي نِظَام التَّسْخين اَلسفْلِي Hypocauste، وَلكِن يَتِم تدْفئتهَا بِارْتباطهَا واتِّصالهَا بِالْقاعة السَّاخنة المحاذية لَهَا، يَكُون اَلجَو فِي هَذِه القاعة دافئًا، كمَا تَتِم فِيهَا فِي بَعْض الأحْيان عَمَليَّة التَّدْليك. ولَا يَتَوفَّر دَاخلِها حَوْض فِي الغالب، فَهِي فَضَاء لِلاسْترْخاء، وَلكِن تَبقَى هُنَاك اِسْتثْناءات مِثْل حمَّامَات سَتابِي Stabies بُومْبَاي، وَالتِي تَحوِي حَوْض فِي القاعة الدَّافئة. وَعلَى اَلعُموم تَتَوسَّط هَذِه القاعة القاعتيْن الحارَّة والْباردة، لِيكون تَغيِير اَلجَو صِحّيا.

7-1-6- القاعة الساخنة (الحارة) :Caldarium يُصطلَح عليْهَا كَذلِك بِاللَّاتينيَّة Cella Caldaria، وَهِي القاعة اَلتِي تَحوِي نِظَام التَّسْخِين اَلسفْلِي Hypocauste (René, 1998, p. 104)تَكُون مُجَهزَة بِحَوض نَافُورة لِلاغْتسال، وَآخَر كبير، حَيْث يَتِم فِيه الاسْتحْمام بِالْمَاء السَّاخن، فِي مُقَدمَة القاعة، وَالتِي تَحوِي أَماكِن مُهَيأَة لِلْجلوس والتَّحرُّك بِحرِّيَّة، كمَا يَكُون الحوْض على اَلعُموم تَحْت سَقْف مُقبَّب ومنْخَفض. (Cagnat & Chapot, 1916, pp. 217-219)

أَمَّا غُرَف الحمَّامات السَّاخنة الخاصَّة بِالرِّجال والنِّساء تَكُون مُتلاصقة، وضمْن جَنَاح وَاحِد، لِتَتم خِدْمتهم بفرْن ونظام تَسخِين وَاحِد مُشتَرك، يَكُون الحوْض اَلذِي يُوضَع فَوْق اَلفُرن فِي تِلْك القاعة مِن البرونْز (فيتروفيوس، 2009، صفحة 155) وَبِسبَب الحرارة الشَّديدة تُصْبِح رَطبَة حَيْث تَسمَح بِتمْدِيد مَسَام الجلْد أَيْن يَتِم غَسلُه جيِّدًا.

7-1-7- قاعة التعريق :Laconicum وَهِي قَاعَة خَاصَّة بِتعرُّق الجسْم، يَتِم فِيهَا فَتْح مسامَّات الجلْد بِالْهواء السَّاخن والْجَافِّ، Etuve sèche أيْ حَمَّام تَعرِيق جاف، كمَا نَجِد أيْضًا حَمَّام تَعرِيق بُخَارِي وَالتِي يُطلَق عليْهَا مُصطَلَح Sudatorium وباللَّاتينيَّة Etuve himide، تَمْتاز بِجوٍّ حارٍّ ورطْب (بُخَارِي).

تَكوُّن مُنخفضَة السَّطْح ومقبَّبة، ذات شَكْل مُسْتدِير، لَهَا فُتحَة فِي السَّقْف (وسط اَلقُبة) تَتَدلَّى مِنهَا حَلقَة بُرونْزيَّة بِواسِطة سِلْسلة، لِضَبط دَرجَة حَرارَة اَلغُرفة.(René, 1998, p. 104) تَسمَح هَذِه التِّقْنيَّة بِتعْدِيل دَرجَة الحرارة (خَفْض ورفْع) مِن خِلَال فَتْح وغلْق نَافِذة السَّقْف.

7-1-8- قاعة التدليك والدهن بالزيت :Alaeothesium وَهِي قَاعَة تَتِم فِيهَا خِدْمَة الدَّلْك وَدُهن الجسْم بِالزَّيْتِ أو المرْهم، ويصْطَلح عليْهَا أيْضًا Unctuarium، أَمَّا مَكَان دَلْكِ الجسْم فَيُطلَق عليْه مُصطَلَح Aliptae كمَا تَتِم دَاخلِها عَمَليَّة تَسرِيح الشِّعْر وكشْط الجلْد يَكُون بِمكْشَطة Strigillus كَأَداة تَستعْمِل فِي اَلقدِيم لِكَشط الجلْد مِن الأوْساخ عِنْد الاسْتحْمام.

إِلى جَانِب هَذِه القاعات، نَجِد كَذلِك المراحيض Latrine والْحانات Tavernes وَكذَلِك بُيُوت الدَّعارة Lupavares وَغرَف أُخرَى ذات أَنشِطة مُعَينَة، (Rich, 1961, p. 639) وتخْتَلف أَحجَام وأشْكَال هَذِه اَلغُرف حسب حَجْم الحمَّام ورفاهية المدينة.

7-1- الساحة: Palestre

هِي عِبارة عن مِساحة مَفتُوحة يَتِم فِيهَا القيَام بِمخْتَلف الألْعاب، الأنْشطة البدنيَّة والْمصارعة...، وتحيط بِهَا أَروِقة مُعَمدَة كممْشى تَكوُّن إِمَّا مُغَطاة أو مَفتُوحة، حَيْث تُزيِّن بِالْأشْجار والتَّماثيل، وَهذَا الفضَاء يَكُون خاصًّا بِالتَّكْملة الجسديَّة والصِّحِّيَّة ويصْطَلح عليْه Ephebeum. (Rich, 1961, p. 639)

كمَا نَجِد فضاءَات أُخرَى لِلْأنْشطة الفكْريَّة، والثَّقافيَّة كالْمكْتبة Bibliothèque، وقاعَات المحاضرات Mithraeum وَأُخرَى لِلْجلوس، أَمَّا العبادة الإمْبراطوريَّة فَتكُون فِي قاعات كَبِيرَة ذات

قِيمة دِينيَّة، خَصصَت لِلْعبادة كَكَنيسَة Basilique أيَّ كَنِيسَة الحمَّام ويصْطَلح عليْهَا بِاللَّاتينيَّة Basiliqua thermarum.

إلِى جَانِب كُلِّ هذَا يُوجَد كَذلِك غُرَف الخدم والْعبيد وتكون مُتصلَة بِالْأرْوقة السُّفْليَّة Couloire، اَلتِي يُصطلَح عليْهَا ب Amblatiuncula وَكذَلِك الفضَاء اَلسفْلِي اَلْخاص بِالْأفْران ونظام التَّسْخين وَالذِي يُصطلَح عليْه بِاللَّاتِينيَّة Praefurnium.

مِن هذَا فَإِن مُنشَأَة الحمَّامات هِي مَكَان يَمنَح اَلفُرصة لِلنَّاس بِاللِّقاء اَليوْمِي لِلْمناقشة والْحديث عن الأعْمال أو أُمُور شَخصِية، وَذلِك إمَّا فِي مَمشَى السَّاحة أو قَاعَة المناقشات Xysti أو قَاعَة المحاضرات Exedrae، حَيْث تَكُون هَذِه الفضاءات عِبارة عن مُلحقَات. (René, 1998, pp. 104-105) كُلُّ هَذِه الهياكل العمْرانيَّة هِي أَساسِية فِي الحمَّامات الرُّومانيَّة العامَّة وبالْأخصّ مِنهَا الإمْبراطوريَّة.

8- العناصر الهيدروليكية:

1-8- خزانات المياه :Réservoirs مَبدئِيا تَكُون فِي مَكَان مُرْتَفِع مِن مَبنَى الحمَّامات، لِتسْهِيل تَوزِيع المِيَاه، وَهِي المسْؤولة عن التَّمْوين اَلْعام بِالْمياه، يَتِم تزْويدهَا بِالْمياه مِن خِلَال القنَاة الرَّئيسيَّة، كمَا يَجِب إحكَام سَدهَا والتَّحقُّق مِن تَهيِئة شَبكَة التَّوْزيع.

2-8- شبكة القنوات :Canalisation وَهِي عِبارة عن أَنابِيب (أُسْطوانيَّة أو نِصْف أُسْطوانيَّة كمَا تَأخُذ أَشكَال أُخرَى) يَتِم مِن خِلالِهَا تَوزِيع المِيَاه، تَكُون مَصنُوعة مِن الطِّين أو الخشب أو اَلمعْدِن وَلكِن فِي الغالب تَكُون رَصاصِية، حَيْث يَتِم تَمرِير هَذِه القنوات عَبْر الجدْران لِتزْوِيد الأحْواض والْمسبِّح بِالْمياه دَاخِل اَلغُرف.

3-8- الأحواض :Bassins وَهِي مُختلفَة مِن حَيْث الشَّكْل وَمَادَّة الصُّنْع والْحَجْم فَنجِد:

1-3-8- الحوضBaignoire : هُو حَوْض مِن مَعدِن البرونْز وَغالِبا مَا يَكُون حَوْض مَبنِي مِن الأجْر والْملاط، يَكُون فَوْق اَلفُرن مُبَاشرَة لِتسْخِين المِيَاه دَاخِل القاعة الحارَّة.

2-3-8- حوض النافورة Vasque: يكُون دَائرِيا وعميقا، يُستعْمِل لِغَسل اليدَيْنِ والْوَجْه، يُسمَّى بِاللَّاتينيَّة Labrum.

3-3-8- المسبح Bassin :كبير الحجم يَتِم الغطْس فِيه بَعْد الاسْتحْمام، وَيكُون فِي القاعة الباردة أو Piscina وَهُو حَوْض السِّباحة وَيتِم الدُّخول إِلَيه بِمجْموعات لِكبر حَجمِه، ويصْطَلح عليْه أيْضًا بِاللَّاتينيَّة Natatio Piscina / Alveus.

وَيتِم صَرْف المِيَاه نَحْو شَبكَة المجاري مِن خِلَال قَنَوات التَّفْريغ Evacuation، أو قَنَاة تَصرِيف الفائض Trop - Pleins، أو عن طريق فُتحات فِي أَرضِيات اَلغُرف (بالوعات)، وَالتِي تُغطَّى بِقطْعة رُخامِيَّة أو حَجَريَّة مَثقُوبة بِشَكل هَندَسِي(Cagnat & Chapot, 1916, p. 210) .

9- المنشآت الحرارية:Établissements Thermaux

وَالتِي تَنتَشِر فِي التَّرْكِيبة المعْماريَّة لِمَنْشأة الحمَّامات، حَيْث تَعددَت تِقْنيَّات التَّسْخين عِنْد الرُّومان مُنْذ اَلقُرون اَلأُولى وَالتِي تَمثلَت فِي:

1-9- الفرن البدائي: اِسْتُعْمل كَتقنِية فِي القُرون الأُولى لِلْحضارة الرُّومانيَّة ، أَيْن اِسْتُخْدم فِي الطَّهْي وَتوفِير الحرارة ، حَيْث كان موْقعه فِي الفنَاء Latrium، وَبمُرور الزَّمن تمَّ تَغيِير مَكانِه وإزالته وتمَّ إعطَاء اَلفُرن وَظِيفَة مُحَددَة والتَّهْيئة اللَّازمة فِي المطْبخ، فَبُنِيَ كَحاوِية لَهَا حَوامِل، أَمَّا الدُّخَّان والأَبْخرة فتخْرج مِن فُتحات فِي السَّقْف، هِي عِبارة عن قَنَوات، هذَا التَّغْيير أَدَّى إِلى عَزْل اَلفُرن، ومنْه ظَهرَت تِقْنيَّات أُخرَى لِلتَّسْخين. (Cagnat & Chapot, 1916, p. 210)

2-9- مواقد الجمر (مباخر):Les braseros تَعُد مِن الأجْهزة المتنقِّلة، تَعمَل على حِفْظ الجمْر والْفَحْم Braises، حَيْث يُسْتخْدَم أَفضَل أَنوَاع الخشب اَلْجاف لِلتَّقْليل مِن الدُّخَّان، كمَا اسْتُعْملتْ هَذِه التِّقْنيَّة فِي الحمَّامات البدائيَّة، فتتعَدَّد حسب عدد اَلغُرف وتخْتَلف أبْعادهَا حسب حجْمهَا، وكمثَال على هَذِه التِّقْنيَّة، فقد حافظتْ حمَّامَات الفروم بِبومْباي على مِبخَرة بُرونْزيَّة مُزيَنَة وَلهَا مَقْعَدين مِن البرونْز بِأرْجل صَغِيرَة(Adam, 1995, p. 287) .

3-9- نظام التسخين السفلي:Hypocauste وَالتِي تَعنِي الحرارة السُّفْليَّة، والْمتنقِّلة إِلى غُرَف المبْنى سَوَاء فِي الحمَّام اَلْعام أو اَلْخاص، هذَا النِّظَام هُو إِبدَاع رُوماني، ظهر فِي نِهاية القرْن 02 وبداية القرْن 01، أَقدَم اِسْتخْدام لِهَذه التِّقْنيَّة وجد فِي مَدِينَة بُومْبَاي Pompéi، بِحمَّامات Stabies وَالتِي بُنيَت فِي ق02ق.م. (René، 1998، صفحة 107)

مَبدَأ هذَا النِّظَام هُو النَّار وتقْنيَّات تَوزِيع الحرارة ، فَإمَّا تَكوُّن عن طريق أَشعَّة الحرارة المباشرة أو عن طريق أَوعِية فَاصِلة (أَحوَاض) Conteneur أو مُحولَات حَرارِية Cloison chauffée، هذَا اَلأخِير هُو أَسَاس إِنشَاء نِظَام التَّسْخين اَلسفْلِي Hypocauste، وَالذِي يَسمَح بِحلٍّ مُشكِّل الدُّخَّان والْغازات وتحْويلهَا، أَيْن يَتِم تَوزِيع حَرارَة نَقيَّة، صِحّية وَفعالَة. (Adam, 1995, p. 289) وَذلِك بِالاعْتماد على عِدَّة تِقْنيَّات.

4-9- الأفران Les foyers : وباللَّاتينيَّة Praefurnium وَهُو المكَان اَلذِي يَتِم فِيه إِشعَال النَّار وكوْنه عِبارة عن فم تُبنَى جُدْرانه بِالْآجرِّ والْحجارة، مكانه فِي الطَّابق اَلسفْلِي، دَاخِل غُرَف مُهَوَّات، يَتِم تَخزِين الوقود فِيهَا (خشب، فَحْم)، كمَا يَحوِي فُتحَة أو بابٍ صغير فِي الجدَار لِلتَّهْوية، وَكذَلِك يَتِم مِن خِلالِهَا تَنظِيف الرَّمَاد وإزالته دوْريًّا. (René, 1998, p. 107)

5-9- أحواض تسخين المياه Testudoalvei : وَهُو حَوْض مَعدنِي فِي الغالب يَكُون مِن البرونْز، يَتِم مِن خِلاله تَسخِين المِيَاه مُبَاشرَة على الأفْران، وَسُمي هذَا النِّظَام بِالسَّخَّان Chaudières، وَهِي حاويَات تَسخِين المِيَاه. وباللَّاتينيَّة Vasaria يَتِم وَضعُها فِي مُؤَخرَة اَلغُرفة، تَكُون على شَكْل حَنيَّة مُقَببَة السَّقْف، وَيقِف الحوْض فِي بَعْض الحالات على مَراجِل بُرونْزيَّة فِي مُنتَصَف حَوْض الاسْتحْمام، لِتوصَّل مُبَاشرَة بِالْفرْن عن طريق قَنَاة(Adam, 1995, pp. 289-290) .

6-9- الأرضية العلوية Suspensura: وَهِي عِبارة عن طَبقَة تُغطِّي الطَّبَقة السُّفْليَّة لِتشكّل أَرضِية غُرَف الحمَّام، حَيْث تُوضَع فَوْق عدد كبير مِن الدِّعامات (مَراجِل) Pilettes، وَمِن خِلالِهَا نَجِد الأرْضيَّة العلْويَّة Radier Supérieur، مَرفُوعة فَوْق السُّفْليَّة Radier Inférieur، فالْأولى هِي أَرضِية غُرَف الاسْتحْمام. (René, 1998, p. 107)

وقد أَشَار إليْهَا فِيتْروفْيوس بِقوْله : "الأرْضيَّة مُغطاة بِالْآجرّ طُولُه قَدَّم ونصْف، وَيُوضَع فَوْق أَرضِية اَلغُرفة السَّاخنة، لِيسْمح لِلْهوَاء السَّاخن بِالتَّنقُّل فِي القنوات دُون تَسرُّب، حَيْث يَتِم بِنَاء هذَا الأجْر على شَكْل أَعمِدة كدعامات، اِرْتفاعهَا 03 إِقدَام (حواليْ 90 سُمٍّ)، وَيتِم وَضْع آجرّ طُوله 04 أَقدَام فَوْق الدِّعامات اَلتِي تَرتَفِع بِقدمَيْنِ، لِتدعّم الأرْضيَّة العلْويَّة "، كمَا يَتِم وَضْع طَبقَة مِن الجير أو المَلَاط فَوْق أَرضِية الآجرّ العلْويَّة ذات سُمْك صغير لِوَضع الطَّبَقة الفسيْفسائيَّة، (Adam, 1995, p. 290) أو الرُّخاميَّة وَيكُون سُمْكُها حواليْ 30 سُمٍّ إِضافة لِارْتفاع 60 سُمٍّ لِلدِّعامات نَتَحصَّل على اِرتِفاع 90 سُمٍّ لِلْأرْضيَّة العلْويَّة .

تَرفَع الأرْضيَّة بِتقْنيَّات مُختلفَة لِتَرك فَرَاغ بِعلوِّ قدميْنِ (حواليْ 60 سم) تَمثلَت فِي:

- **الدعائم (المراجل): Pilettes** وَهِي عِبارة عن أَعمِدة مُوَزعَة بِانْتظام ، فِي الغالب تَكُون مُرَبعَة ، حَيْث تَبنَّى بِالْآجرّ اَلمُربع (20 × 20 سُمٍّ) وَتتِم تغْطيتهَا بِآجرٍ (60 × 60 سُمٍّ) وترْتَفع بِقدمَيْنِ حواليْ 60 سم.
- **الدعائم الأسطوانية :Sylinores** وَهِي قِطْعَة وَاحِدة مِن الطِّين المحْروق ، على شَكْل أُنبُوب يَستعْمِل كدعامة .

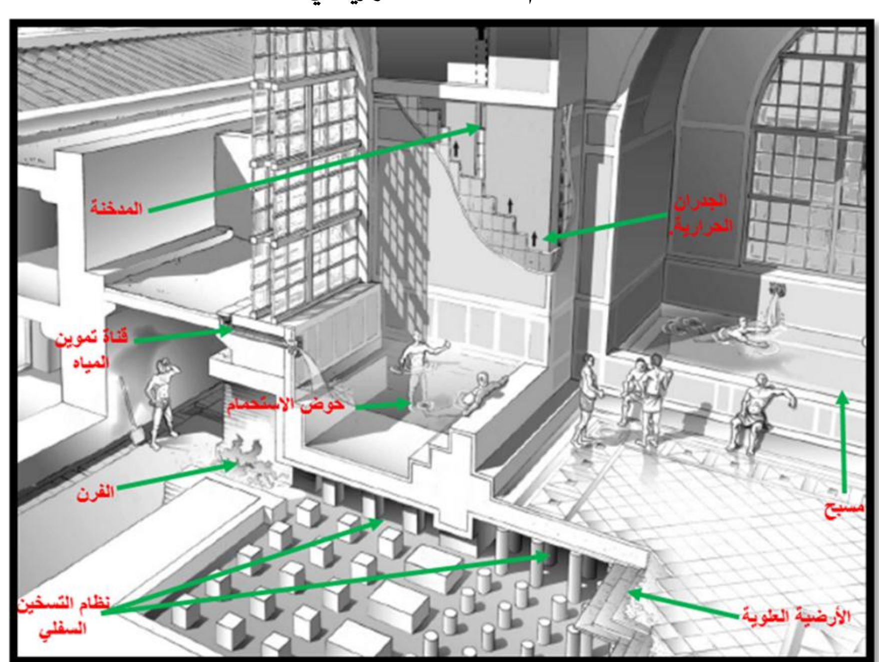
7-9- القنوات الحرارية :Canaux وَهِي عِبارة عن أَنابِيب فَخارِية تَكُون فِي القنَاة الجداريَّة Conduits de chaleur، تُوضَع تَحْت أَرضِية اَلغُرف بِطرق مُختلفَة، وتسمَّى قَنَوات التَّسْخين السُّفْليَّة canaux Hypocauste a وباللَّاتينيَّة Cuniculi، وَيمكِن إِيجَاد نِظَام يَجمَع بَيْن الدَّعائم والْقنوات. (Cagnat & Chapot, 1916, pp. 217-223)

8-9- الجدران المسخنة(الحرارية):Parois Chauffantes

تَعتمِد هَذِه التِّقْنيَّة على تَرْك فَرَاغ طُوليٍّ فِي الجدَار كَقَناة تَتصِل بِالطَّابق اَلسفْلِي، أَيْن تَسمَح بِانْتشار الحرارة دَاخِل الجدْران، وَيُبنَى هذَا الجدَار بِواسِطة القرْميد Tegulae، وَتثبِت بِواسِطة مَسامِير أو حَلَقات فَخارِية وَذلِك لِلْحفَاظ على المسافة بَيْن الجداريَّة (القنَاة)، وَيكُون القرْميد مُسْتطِيل الشَّكْل يَحوِي فَتحات لِلتَّثْبيتِ، وبِترْكيبهَا نَتَحصَّل على جِدَار مَفصُول عن الجدَار اَلأصْلِي. اِسْتعْملتْ هَذِه التِّقْنيَّة لِرَفع دَرجَة حَرارَة اَلغُرف، مِن خِلَال اِرتِفاع اَلْهوَاء السَّاخن وانْتشاره لِيَتم تَسخِين الجدْران اَلتِي تُغطَّى بِصفائح رُخامِيَّة وَالتِي تُحَافِظ على الحرارة. (Cagnat & Chapot, 1916, pp. 218-219) وكانتْ الجدْران مَفتُوحة بِقنوَات تُؤدِّي إِلى الخارج، مُثَبتَة بِدبابيس Ergots تُثْبِت فِي الفرَاغ بَيْن الجداريْنِ. كمَا اِسْتُخْدمتْ تِقْنيَّات أُخرَى فِي القنوات الجداريَّة مِنهَا:

- **القنوات الفخارية : Tubuli** وَهِي قِطَع فَخارِية مُسْتطيلة الشَّكْل تَحوِي فَتحات عِنْد ترْكِيبِهَا نَتَحصَّل على قَنَاة طُوليَّة وَالتِي تَسمَح بِمرور الهَواء السَّاخن على طُول الجدَار، يَتِم تثْبيتهَا فِي الجدَار بِواسِطة المَلَاط أو بِواسِطة مَسامِير مَعدنِية Crampons Métalliques، لِتأْتِي الرُّسومات أو الطَّبَقة الرُّخامِيَّة، ثُمَّ تَغطَّى بِطبقة مِن اَلجِص Enduit Stuc، كمَا نَجِد فِي سَقْف اَلغُرف قَنَوات كمداخن لِإخْرَاج اَلْهَواء. وكمثَال لِهَذا نَجِد اِسْتخْدامهَا فِي حمَّامَات Stabies بِبومْباي، تِقْنيَّة القرْمِيد فِي جُدْران القاعة الدَّافئة الخاصَّة بِقسْم الرِّجَال وَتقنِية القنوات الفخَّارِيَّة Tubuli فِي القاعة الحارَّة. (Gregory, 2004, pp. 108-109)
- **المدخنة: Cheminées de tirage** وَهِي عِبارة عن قَنَاة تَكُون مَحفُورة فِي السَّقْف، إمَّا مَائِلة أو رَأسِية وَيُطلَق عليها مُصطلَح Caminu (Adam, 1995, p. 290)

مخطط 02: أهم المنشآت الحرارية في الحمامات.



المصدر: Th. Fournet, 2007, p 200

10- الزخرفة والتزيين: La décoration

إنَّ العناصر التَّزْيينيَّة فِي الحمَّامات هِي كَثِيرَة ومتنوِّعة، فالزَّخْرفة لَهَا أَهَميَّة كَبِيرَة حَيْث تُطبَّق بِدقَّة عَالِية، فزيِّنتْ جُدْران الحمَّامات بِالْجصِّ (مَسحُوق الرُّخَام وَالجِبس والْمَاء، حَيْث يَكُون سَهْل القوْلبة والنَّحْتِ عليْه)، كمَا تُكسَى الأرْضيَّات بِالْفسيْفساء والرُّخام، فيُسْتعْمل كلوْحَات جِداريَّة Fresques، وَتُوضَع التَّماثيل فِي مُخْتَلِف أَنحَاء الحمَّام. (Hewitt, 2000, p. 204)

- **الواجهة والأرضية الرخامية**: وتُطَبَّقُ فِيهَا تِقْنيَّة القطع Opus sectile، فَهُو فِي الغالب يَستعْمِل كغطاء لِلْجدْران لِإعْطَاء نَظرَة جَمالِية كمَا يُحَافِظ على حَرارَة أو بُرُودَة اَلغُرفة، والرُّخام نادرًا مَا يَستعْمِل فِي تَبلِيط الأرْضيَّات، وتسْتعْمل أَلوَان مُختلفَة لَه.
- **الفسيفساء** :**La Mosaïque** وَهِي مِن الأعْمال الفنِيَّة اَلتِي تُسْتخْدَم فِي تَبلِيط الأرْضيَّات، تُمثِّل فِي الغالب مَواضِيع بَحرِية فِي قاعات الحمَّام، فَنجِد الحيوانات المائيَّة والشَّخْصيَّات الأسْطوريَّة البحْريَّة والْآلهة والْوحوش والأسْماك والصَّيَّادين...، (Hewitt, 2000, p. 204) حَيْث تُعتَبَر مِن العناصر اَلتِي يُحَافِظ عليْهَا الحمَّام إلى يوْمنَا هذَا، تَتَميَّز بِخاصِّيَّة مُقاومتهَا لِلْمَاء ومحافظهَا على الحرارة بِالتَّالي تَخْلق جوًّا راقٍ وَفاخِر. (Cagnat & Chapot, 1916, p. 225)

11- خاتمة:

فَفِيمَا يَخُص طَبِيعَة المنْشأة، فَنجِد مِنهَا الحمَّامات العامَّة والْخاصَّة وَذلِك حسب مِساحتهَا ومكانهَا وملْحقاتهَا وفضاءاتهَا المتعدِّدة اَلتِي تُوَافِق اَلمُخطط اَلْعام لِلْحمَّامات الرُّومانيَّة، بِالْإضافة إِلى توْزيعهَا ضِمْن مُخطَّط سَيْر مُنْتَظِم وصحِّيٍّ، هِي نِقَاط تُوضِّح طَبِيعَة هذَا المَعلم، اَلذِي قَدَّم خِدْمَات عَدِيدَة لِسكَّان اَلمُدن والأرْياف فِي تِلْك الفتْرة مَبْدَؤُها النَّظافة والصِّحَّة، ثُمَّ الرَّاحة وَبَعدهَا يَأتِي التَّرْفيه، هِي وَظائِف تُقَدمهَا الفضاءات المخْتلفة لِلْمنْشأة وَالتِي ذُكرَت سابقًا، كُلٌّ حسب خاصِّيَّته الوظيفيَّة

مِن خِلَال دِراستنَا هَاتِه اَلتِي تناولْنَا فِيهَا أحد أهمِّ المنْشآتِ فِي اَلمُدن القديمة وَهِي الحمَّامات، اَلتِي حاولْنَا فِيهَا فكُّ تساؤلات عَدِيدَة حَوْل هَذِه المنْشأة المائيَّة، وَكذَا التَّعْريف بِهَا مِن الجانبيْنِ الأثَريِّ والْمعْماريِّ، وَذلِك بِمعاينة اَلمُخطط اَلْعام حسب المعْطيات النَّظريَّة أو الميْدانيَّة، اللَّذَان بِهمَا تَوَصلنَا إِلى مَجمُوعة مِن الاسْتنْتاجات تَضمنَت توْضيحات لِلْإشْكال المطْروح.

12- قائمة المراجع:

أولا المراجع باللغة العربية:

1. الجعافرة، ع. ا. (2013). التربية والتعليم بين الماضي والحاضر. عمان الاردن: مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع.
2. الجواد، ت. أ. (2014). تاريخ العمارة والفنون في العصور الأولى، ج 1. مصر: مكتبة الأنجلو مصرية.
3. ذياب البدانية. (2012). التوثيق العلمي دليل النشر العلمي. عمان الاردن: دار المناهج للنشر والتوزيع.
4. سلمان، ع. ا. (2016/2015). تاريخ الفن والعمارة. دمشق: جامعة دمشق.
5. عقون، م. ا. (2008). الاقتصاد والمجتمع في الشمال الافريقي القديم. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون.

6. فيتروفيوس. (2009). فيتروفيوس، الكتب العشرة في العمارة. ترجمة: يسار عابدين، عقبة فاكوش، ياسر الجابي ص 155. دمشق: جامعة دمشق، كلية الهندسة المعمارية.
7. محفل، م. (2016/2015). دراسات في تاريخ الرومان. الجزء الاول. دمشق: جامعة دمشق.

ثانيا المراجع باللغة الأجنبية:

8. Adam, (.-P. (1995). *La Construction Romaine, Matériaux et Techniques. Troisième édition ; grands manuels picards.* France: France Quercy.
9. Bahloul, F. Z. (2016). *Etude et mise en valeur des thermes publics romains de Thamugadi, Lambaesis, Cuicul.*. Biskra: dfg.
10. Cagnat, R., & Chapot, V. (1916). *Manuel d'Archéologie Romaine, T1.* Paris: Auguste Picard, éditeur.
11. Carcopino, J. (1941). *Daily life in ancient Rome, the people and the city at the height of the empire.* London: penguin books.
12. Fletcher, B. (1894). *A History of Architecture on the comparative Method.* London: High Holborn.
13. Gregory, A. (2004). *Daily life in the Roman city, Rome, Pompeii, and Ostia.* London: greenwood press.
14. Hewitt, S. (2000). *The Urban Domestic Baths of Roman Africa.* Canada: Canada March.
15. Jarzombek, M. F., & Prakash, V. (2011). *Chin (F), Jarzombek (M), Prakash (D. D). Aglobal historie of architecture, second Edition.* canada.
16. Lenoir, E. (1995). Thermes et palestres à l'époque romaine. *Bulletin de l'Association Guillaume Budé, n ;1*, 62.
17. Lord, I. (2011). *Gestionnaires inspirants: les 10 règles de communication des leaders.* Montréal, Québec: Éditions Logiques.
18. Matthew, B. (2002). *Encyclopedia of the Roman Empire.* New York.
19. Pierre, G. (2002). *L'architecture romaine, du début du III siècle av J-C ; à la fin du haut-empire, les monuments publics, les manuels d'art et d'archeologie antique.* France: France Quercy.
20. René, G. (1998). *Dictionnaire méthodique de l'architecture grecque et romaine. Tome III, Espaces architecturaux, bâtiments et ensembles.* Rome: École Française de Rome.
21. Rich, A. (1961). *Rich (A). Dictionnaire des antiquités romaines et grecques.* Paris: Firmin didot frères, Rue Jacob.
22. Thébert, Y. (2003). *Thermes Romains d'Afrique du Nord et leur contexte Méditerranées.* Roma: Ecole Française de Rome.